بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

ذكر فتوح مصر

قال ابن عبد الحكم عن عثمان بن صالح وشيوخه أنه لما قدم عمر رضي الله عنه
الجابية خلا به عمرو بن العاصي فاستأذنه في المسير إلى مصر وكان عمرو قد دخلها في
الجاهلية وعرف طرقها ورأى كثرة ما فيها وكان سبب دخوله إياها أنه كان قدم بيت
المقدس لتجارة في نفر من قريش وكانوا يرعون إبلهم بينهم نوبا فبينا عمرو يرعاها
في نوبته إذ مر به شماس من شمامسة الروم من أهل الإسكندرية كان قدم للصلاة في بيت
المقدس والسياحة في جبالها فمر على عمرو فاستسقاه وقد أصابه عطش في يوم
شديد الحر فسقاه عمرو من قربة له فشرب حتى روي ونام الشماس مكانه وكانت
إلى جنبه حيث نام حفرة فخرجت منها حية عظيمة فبصر بها عمرو فنزع لها
بسهم فقتلها فلما استيقظ الشماس نظر إلى الحية فسأل عمرا عنها فأخبره أنه
رماها فقتلها فأقبل إليه الشماس فقبل رأسه وقال قد أحياني الله بك مرتين
مرة من شدة العطش ومرة من هذه الحية فما أقدمك هذه البلاد قال قدمت
مع أصحاب لي نطلب الفضل في تجارتنا فقال له الشماس وكم تراك ترجو أن تصيب في تجارتك
قال رجائي أن أصيب ما أشتري به بعيرا فإني لا أملك إلا بعيرين فأملي أن أصيب
بعيرا ثالثا فقال له الشماس كم الدية بينكم قال مائة من الإبل فقال الشماس لسنا
أصحاب إبل إنما نحن أصحاب دنانير قال تكون ألف دينار فقال له الشماس إني رجل

غريب في هذه البلاد وإنما قدمت أصلي في كنيسة بيت المقدس وأسيح في هذه
الجبال شهرا جعلت ذلك نذرا على نفسي وقد قضيت ذلك وأنا أريد الرجوع إلى
بلادي فهل لك أن تتبعني إلى بلادي ولك عهد الله وميثاقه أن أعطيك ديتين لأن الله
عز وجل أحياني بك مرتين فقال له عمرو أين بلادك قال مصر في مدينة يقال لها الإسكندرية
فقال له عمرو لا أعرفها ولم أدخلها قط فقال له الشماس لو دخلتها لعلمت أنك
لم تدخل قط مثلها فقال له عمرو وتفي لي بما تقول فقال له الشماس نعم لك علي
العهد والميثاق أن أفي لك وأن أردك إلى أصحابك فقال عمرو كم يكون مكثي في ذلك
قال شهرا تنطلق معي ذاهبا عشرا ونقيم عشرا وترجع في عشر ولك علي
أن أحفظك ذاهبا وأن أبعث معك من يجيئك راجعا فقال له عمرو أنظرني حتى أشاور
أصحابي فانطلق عمرو إلى أصحابه فأخبرهم بما عاهد عليه الشماس وقال لهم أتقيمون
علي حتى أرجع إليكم ولكم علي العهد أن أعطيكم شطر ذلك على أن يصحبني رجل منكم
آنس به فقالوا له نعم وبعثوا معه رجلا منهم فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس
إلى مصر حتى انتهى إلى الإسكندرية فرأى عمرو من عمارتها وكثرة أهلها وما بها من الأموال
ما أعجبه ونظر إلى الإسكندرية وعمارتها وجودة بنائها وكثرة أهلها وما بها من
الأموال فازداد بذلك عجبا ووافق دخوله الإسكندرية عيدا فيها عظيما يجتمع فيه
ملوكهم وأشرافهم ولهم كرة من ذهب مكللة يترامى بها ملوكهم ويتلقونها بأكمامهم
وفيما اختبروا منها على ما وضعها من مضى منهم أنه من وقعت في كمه واستقرت
فيه لم يمت حتى يملكهم وأكرم الشماس عمرا الإكرام كله وكساه ثوب ديباج
ألبسه إياه وجلس معه في ذلك المجلس مع الناس حيث يترامون بالكرة وهم
يتلقونها بأكمامهم فرمى بها رجل منهم فأقبلت تهوي حتى وقعت في كم عمرو فعجبوا
من ذلك وقالوا ما كذبتنا هذه الكرة قط إلا هذه المرة أترى هذا الأعرابي يملكنا
هذا ما لا يكون أبدا وإن ذلك الشماس مشى في أهل الإسكندرية وأعلمهم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)